التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية

تأليف
عبد الرحمن صالح عبد الله
وكتوراه في التربية الإسلامية

دار المنارة للنشر
جدة - السعودية

للمؤلف

١ - **تاريخ التعليم في مكة المكرمة.** ط ٢. جدة: دار الشروق، ١٤٠٣هـ، ٢٩٠ ص.

٢ - **الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس.** (تعريب)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧١م، ٢٣٨ ص.

٣ - **المرشد في كتابة الأبحاث.** (مؤلف مشارك)، ط ٤، جدة: دار الشروق، ١٤٠٣هـ، ٢٨٧ ص.

٤ - **Educational Theory: A Quranic Outlook.**
جامعة أم القرى بمكة. مركز البحوث التربوية والنفسية، ١٤٠٢هـ، ٢٣٩ص.

٥ - **المنهاج الدراسي: أسسه وصلته بالنظرية التربوية الاسلامية.** الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ١٤٠٥هـ، ٢٩٦ ص.

٦ - **ابن الجوزي وتربية العقل.** مكة المكرمة: مؤسسة مكة للطباعة والاعلام، ١٤٠٦هـ، ٥٥ ص.

٧ - **التربية العملية: أهدافها ومبادؤها.** (تحت الطبع).

توزيع مكتبة المنارة - مكة المكرمة
العزيزية - مدخل جامعة أم القرى
ص . ب : ٢٦٥٣ . ت : ٥٥٦٦٣٧٥

٣١٣١

عبد اللطيف بن عبد العزيز الباحوح

التوجيه الإسلامي للعلوم التربوية

تأليف
عبد الرحمن صالح عبد الله
دكتوراه في التربية الإسلامية

الطبعة الأولى
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

الناشر
دار المنارة
جدة . السعودية

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طباعة
مؤسسة مكة للطباعة والإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

"اليومَ أكملتُ لكم دينَكُمْ
وأتممتُ عليكُمْ نِعْمتي ورضيتُ
لكمُ الإسلامَ دينا "

المائدة: ٣

قائمة المحتويات

١	ـ المقدمة	٧
٢	ـ علم التربية أم علوم تربوية	١٠
٣	ـ مفهوم العلم	١٢
٤	ـ مفهوم العلم التربوي	١٤
٥	ـ مدى الحاجة إلى العلوم التربوية	١٦
٦	ـ واقع العلوم التربوية	١٩
٧	ـ التوجيه الاسلامي للأهداف	٢٩
٨	ـ التوجيه الاسلامي للمحتوى	٣٢
٩	ـ التوجيه الاسلامي للطريقة	٣٦
١٠	ـ التوجيه الاسلامي للتقويم	٣٩
١١	ـ التقويم الاسلامي للمنهجية	٤٢
١٢	ـ بعض العقبات وسبل مقاومتها	٤٧
١٣	ـ الخاتمة	٥٦
١٤	ـ قائمة المصادر	٥٧

١ ــ المقدمـــة

التربية عملية مقصودة تهدف إلى تنشئة الانسان الصالح وذلك من خلال تنمية طاقاته المختلفة : الجسمية والعقلية والروحية . والتربية شديدة الصلة بلفظة « الرب » التي وردت في فاتحة القرآن الكريم للدلالة على معان عدة منها السيد المطاع والمصلح المالك[١] . ويؤكد المودودي أن المعنى الأساسي لكلمة الرب مرتبط بالتربية وتتشعب عن هذا المعنى معان عدة منها التصرف والتعهد والسيادة[٢] .

والتربية لا تتم في فراغ ، ففي العملية التربوية يقوم أفراد إنسانيون بتوجيه أفراد إنسانيين نحو غايات معينة مستخدمين في ذلك وسائل محددة . وعليه فإنه لا يصح عزل التربية عن الوسط الاجتماعي الذي تعمل فيه . ومن هنا كان تباين النظريات التربوية في المجتمعات المختلفة ، ففي المجتمع الاشتراكي تشتق الأهداف التربوية من المجتمع الاشتراكي وحاجاته ومن مبادىء الثورة الشيوعية . والهدف العام للتربية في المجتمع السوفياتي هو إيجاد الرجل السوفياتي الجديد أي الانسان الشيوعي . واعتقاد الشيوعيين بأهمية الجماعة أدّى إلى إبعاد التربية من حساباتها قضية الفروق الفردية[٣] .

---

(١) تفسير الطبري ، جـ ١ ، ص ١٤١ ــ ١٤٢ .

(٢) المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم ، ص ٤٣ .

(3) Bown, and Hobson: **Theories of Education**, pp. 224 - 234.

والتربية الماركسية تربية مادية تسقط من حساباتها كل المثل والقيم العليا لأنها لا تؤمن أصلا بوجود مثل هذه القيم ، فجلّ همّها — كما يرى ماركس — إعداد الفرد ونموه نموا متكاملا بحيث يصبح قادرا على مجابهة أي تغيير في وسائل الانتاج[1] .

وفي المجتمعات الغربية حيث تسود الديمقراطية تعتبر المهمة الأساسية للتربية — حسب زعمهم — تسهيل سبل تبادل الأفكار بين أفراد المجتمع الواحد[2] . لكن التربية الديمقراطية تربية نفعية في أصولها ، لذا فإنها لا تقيم وزنا للحقائق المطلقة ، وبدلا من ذلك فإنها ترى أن الخبرة هي محك صدقها أو كذبها ، فما يؤدي إلى نتائج سارة حق وما يؤدي إلى نتائج ضارة باطل لا تهتم به . فالايمان بالله — حسب المذهب النفعي — حقيقة إذا ما أدى إلى نتائج مرغوب فيها كأن يشعر أبناء المجتمع بالتماسك[3] . والنتيجة المنطقية لهذه المقدمات أن يصبح الدين باطلا في المجتمع الذي لا يجني أفراده فائدة منه . ولا شك في أن هذه المقولة مغلوطة من أساسها لأنها تجعل النتائج معيارا للحكم على الأسباب التي أنتجتها وترفض أن تكون النتائج تبعا للأسباب . أليس من المعقول أن يؤمن الانسان بالله فيقوده إيمانه إلى

(١) حسن صعب : الانسان العربي وتحدي الثورة العلمية التكنولوجية ، ص ١٢٦ .

(2) Dewey: **Democracy and Education**, p. 99.

(3) Russell: **The Wisdom of the West**, p. 279.

الطمأنينة ؟ ثم أن التربية النفعية تفشل في تحديد مواصفات العمل النافع والعمل الضار لأنها لا تؤمن بوجود معايير خارج الخبرة نفسها .

والتربية الاسلامية تربية متميزة لأنها تهدف إلى إعداد الانسان الصالح ، الانسان الذي يقر بالعبودية لله سبحانه وتعالى . وجميع ما جاء به الدين الاسلامي واقع في دائرة التربية . فالعبادات تربية وإقامة الحدود تربية والجهاد في سبيل الله تربية . وعلى المربين المسلمين إنتهاز كل فرصة مناسبة لايصال الانسان المسلم إلى كماله الانساني . فالكمال الانساني هدف يتحقق من خلال التربية . وحيث أن العبادات وغيرها من الأعمال الصالحة وسائل تسهم في تحقيق الكمال الانساني فإنه من غير المرغوب فيه تعطيل أي منها بدعوى عدم ملاءمة الظروف . فما أصاب المسلمين في غزوة أحد كان اختبارا تربويا قصد به معرفة المؤمنين ومعرفة المنافقين .

قال تعالى :

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّا ٱتَّبَعْنَٰكُمْ ﴾[1] .

(١) آل عمران : ١٦٦ — ١٦٧ .

ومن المفيد أن نقرر شمولية الأهداف التربوية والوسائل المستخدمة في التربية الاسلامية لانظير لها في التربيات الأخرى .

نخلص مما تقدم إلى أن التربية ترتبط بعقيدة المجتمع وبحاجاته . وحيث أن عقائد المجتمعات الشرقية الماركسية والغربية فاسدة ، فإنه لا يجوز لأي مجتمع إسلامي إستيراد أي من تلك النظريات التربوية بذات الطريقة التي تستورد بها البضائع الاستهلاكية . بل لا يجوز استعارة بعض أجزاء تلك النظريات لأنه يستحيل إدخالها في النظرية التربوية الاسلامية دون أن تحدث خللا كبيرا يفوق ما يظن أنها تحققه .

٢ ــ علم التربية أم علوم تربوية

هناك من يعتقد أن التربية علم قائم بذاته ، ويدخلها بعض القائلين بهذا الرأي في زمرة العلوم الاجتماعية[1] . ومن المبررات التي يستند إليها أنصار هذا الاتجاه أننا نجد في التربية قواعد ومعايير نحكم بها على طبيعة العملية التربوية ؛ فوجود مثل هذه المعايير دليل على وجود علم مستقل قائم بذاته .

ويقول من ينكرون وجود علم مستقل يدعى « علم التربية » أن وجود قواعد معينة في ميدان التربية لا يعتبر دليلا كافيا على الاستقلال . فالقواعد والمبادىء التي تستعين بها التربية

(١) انظر اوناواي : التربية والمجتمع ، ص ١٩ .

مأخوذة من علوم أخرى مثل علم النفس وعلم الاجتماع ، لذا فإنهم ينصحون بالاقلاع عن كل محاولة تهدف إلى إثبات استقلالية علم التربية ؛ ويرون أن من الأفضل الحديث عن علوم تسهم في تحسين العملية التربوية[1] . وفي اعتقادنا ان الاتجاه الثاني هو الاتجاه السليم . فالوظائف التي تؤديها التربية عديدة منها فهم طبيعة المجتمع وتحديد الطرق التي تُنمَّى بها المهارات الاجتماعية . ومن تلك الوظائف أيضا التعريف بخصائص الفرد في مختلف مراحل النمو ومعرفة خصائص التعلم الانساني . وتحقيق هذه الأمور وغيرها يتوقف على الاسهامات التي تقدمها علوم أخرى مثل التاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع . فتاريخ التربية يوضح الماضي القريب والبعيد للعملية التربوية ويبين العوامل التي أثرت سلبا أو إيجابيا على المسيرة التربوية . وعلم النفس التربوي يستكشف الدوافع التي تقود إلى التعلم ويبين خصائص عملية التعلم ومختلف العوامل المؤثرة فيها مثل المكافآت والعقاب والانفعالات . وعلم الاجتماع التربوي يهتم بدراسة القوى الاجتماعية المؤثرة في نمو الأفراد وبالعلاقات الاجتماعية ذات الصلة بالعملية التعليمية . أمّا فلسفة التربية فتقوم ــ في المجتمع الغربي ــ بتوضيح الأفكار المستخدمة في التربية من خلال نقدها وتحليلها ، وعليه فإن فلسفة التربية تسهم إسهاما كبيرا في تحديد الأهداف التي تسعى التربية إلى تحقيقها[2] .

(1) Conant: The Education of the American Teachers. p. 120

(٢) اوناواي : التربية والمجتمع : ص ٢٠ ــ ٢٣ .

يتضح مما تقدم أن التربية ليست علما قائما بذاته وأن هناك علوما أخرى ترفد التربية بما تحتاج إليه . فالعلوم التربوية تؤدي وظيفة أساسية حين تعمق من فهمنا لما يجري في ميدان التربية وفي فهمنا لبعضنا البعض أثناء أداء ما يطلب منا في التربية . بيد أن هذا الاقرار بأهمية العلوم التربوية لا يزيل كل لبس عالق بها ، ذلك أن استخدام كلمة « علم » ينطوي على شيء من الغموض ؛ ثم أن نعت هذه العلوم بـ « تربوية » قضية تحتاج إلى شيء من الايضاح .

٣ ــ مفهوم العلـــم

يعتقد البعض أن العلم ظاهرة متأخرة في حياة البشرية ، فالبشرية عاشت قبل عصر العلم آلاف السنين بعيدة عن هذه الظاهرة[١] . وهذه النظرة إلى العلم تقوم على اعتبار أن العلم طريقة للمعرفة تقوم على الملاحظة والتجريب . ويرى القائلون بهذا الرأي أنّ التربية الحقة هي التي تعلي من الطريقة العلمية وأن الهدف الأسمى للتربية إعداد المجتمعات التي تسودها النظرة العلمية . ومعنى هذا أن العلم لا يقتصر على كونه طريقة معينة للحصول على المعرفة بل هو اتجاه في الحياة يقوم على الايمان بنظام الطبيعة الذي لا دخل فيه للقوى الغيبية[٢] . وعليه فإن الحقائق

(١) عبد الحليم عويس : لا نزاع بين الدين والعلم في المنهج والموضوع ، ص ٧ .

(٢) فينكس : فلسفة التربية ، ص ٥٠٤ ، ٥١٥ .

التي تستحق أن يطلق عليها « حقائق علمية » لابد أن تتصف بصفات عديدة منها أن تخضع للتجريب وأن تبتعد عن الأهواء والميول وأن لا تتعلق بعالم الغيب .

لقد تأثر معظم العلماء الغربيين في ميادين علم النفس وعلم الاجتماع بهذا الاتجاه فدعوا إلى « علمنة » العلوم الاجتماعية والنفسية . وقد انتقلت عدوى تقليد العلوم الطبيعية إلى المشتغلين بالتربية في العالم الاسلامي فدعا بعضهم إلى تسويد الاتجاه العلمي عند النظر في المشكلات المرتبطة بالانسان .

إن المساواة التامة بين طبيعة الحقائق في العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية والنفسية تنطوي على مغالطة أساسية ، فالأشياء هي موضوع الفرع الأول من العلوم والانسان هو موضوع الفرع الثاني ، ولا يعقل أن يدرس الانسان بذات الطريقة والأدوات التي تدرس بها الأشياء اللهم إلّا إذا نحيت جانبا جميع السمات الأساسية التي يمتاز بها الانسان عن الأشياء . ولابد من الاشارة إلى أن العلوم الطبيعية لا تهتم إلا بوصف الظواهر التي تدرسها بينما تهتم العلوم الاجتماعية والنفسية بوصف الواقع وبما ينبغي أن يكون عليه الواقع . وعليه فإن العلوم التربوية في المجتمع الاسلامي ترفض تقليد العلوم الطبيعية لأن ذلك يفقدها مجالات أساسية لا تستقيم بدونها . يضاف إلى هذا أن العلوم الطبيعية أريد لها في الغرب أن تُنَمّي الاتجاه العلماني ، والعلوم التي تقتدي بالعلوم الطبيعية في المجتمع الغربي تنشر في النشء روح الالحاد بينما

تهدف جميع العلوم في المجتمع الاسلامي إلى غرس الايمان في النفوس . فذو القرنين استطاع أن يفتح بلادا في المشرق والمغرب ، وقد توّج أعماله بإقامة سد عظيم مستخدما ما يسره له علم عصره . وعندما أتم البناء قال في تواضع :

﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾[1] .

فالعلم في الاسلام مرتبط بالله سبحانه وتعالى . وتوضح أول آية نزلت على الرسول الأمين أن القرآن لا يطلب من المسلم مطلق القراءة بل يطالبه بالقراءة المُقَيَّدة[2] . فالعلوم الاجتماعية والنفسية في المجتمع الاسلامي تلتقي مع العلوم الطبيعية في الهدف العام . فالانسان آية والكون آية تختلف عنها في طبيعتها ، لكن دراسة الانسان والأشياء تلتقي على صعيد واحد لأنها تسهم في تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى .

٤ ــ مفهوم العلم التربوي

بعد أن اتضح مفهوم العلم الذي ينسجم مع التصور الاسلامي فإنه ينبغي التدقيق في معنى لفظة « تربوي » التي تلحق ببعض العلوم . وقد اصطلح على نعت مجموعة من العلوم

(١) الكهف : ٩٨ .

(٢) يوسف القرضاوي : الرسول والعلم ، ص ١٦ .

بلفظة « التربوية » وهذه هي علم النفس التربوي وعلم لاجتماع التربوي وتاريخ التربية وفلسفة التربية وغيرها . وقد يوحي وصف مجموعة من العلوم بأنها تربوية أن غيرها ليست تربوية . وهذا أمر لايمكن القبول به . فعلوم الشريعة تربوية لأنها تدل الانسان على طريق الخير وتجنبه طريق الشر ، وعلم الرياضيات والفلك والكيمياء علوم تربوية لأن دراسة كل منها يؤدي إلى اكتساب مهارات واتجاهات معينة . وقد سبق أن أكدنا قبل قليل أن كل علم في الاسلام موصول بالله سبحانه وتعالى . ولن تخالف الدقة كل من يجرد بعض العلوم من صفتها التربوية إذا قصد بالتربية المفهوم العام والذي قوامه في الاسلام تنشئة الانسان الصالح وفي المجتمعات القومية تنشئة المواطن الصالح . هذا ويمكن التعرف على المقصود من لفظة « تربوي » التي تلحق ببعض العلوم إذا أمكن تحديد الوظائف التي تؤديها هذه العلوم .

من أهم وظائف هذه العلوم أنها تبصر المعلمين بنفسية المتعلمين وبحاجاتهم الفردية والاجتماعية . فدراسة العلوم التربوية يفيد المعلمين الذين يدرسون سائر فروع العلم التي يتضمنها المنهاج الدراسي لأنها تزودهم بطرق التعليم الملائمة وتسهل تحقيق الأهداف العامة والخاصة التي تقوم عليها التربية . ويمكن تشبيه الدور الذي تقوم به هذه العلوم بالعوامل المساعدة التي يعتمد حدوث التفاعلات الكيماوية في بعض الأحيان على وجودها . ومن هنا فإننا نقترح أن تضاف لفظة « المساعدة » إلى التسمية

الحالية ليصبح اسمها « العلوم التربوية المساعدة » . فالتربية ليست حكرا على هذه العلوم ، بل إن كل علم يسهم في تحقيق أهداف التربية العامة هو علم تربوي بالضرورة .

٥ ــ مدى الحاجة إلى العلوم التربوية

كليات التربية ومعاهد إعداد المعلمين تعدّ حديثة العهد إذا ما قورنت بالكليات الأخرى ؛ ومع هذا فهي الآن أكثر عددا وأوسع انتشارا . وتقدم هذه الكليات والمعاهد العلوم التربوية على مستوى الدراسات العليا والدنيا على حد سواء . وقد لاقى التربويون ــ وما يزالون ــ عداء من زملائهم أصحاب التخصصات الأخرى . أمّا أسباب ذلك فعديدة منها أن ادعاء التربويين أنهم يعلمون غيرهم كيف يدرسون يحمل في ثناياه حقيقة لا يقبلها أهل التخصصات الأخرى ومفادها أنهم أنفسهم لا يحسنون التدريس . وحيث أن أساتذة الجامعات في كليات الهندسة والطب والعلوم الأخرى قد أثبتوا جدارتهم للتدريس من خلال الخبرة فلا داعي ــ من وجهة نظرهم ــ إلى اقتطاع جزء ثمين من وقت الطلاب وتكريسه لدراسة العلوم التربوية . ومما يساعدهم في موقفهم الرافض للعلوم التربوية أن المقررات الدراسية في هذه العلوم متداخلة مما ينجم عنه تكرار ممل في أحيان كثيرة . فالأسس الاجتماعية قد تدرس في مقرر أسس المناهج وفي الأصول التربوية وفي اجتماعيات التربية . ويلمس معظم الدارسين

في كليات التربية وجود هذه المشكلة التي لم تعالج العلاج الناجح حتى هذه اللحظة .

وإن النقد الموجه للعلوم التربوية من قبل أهل التخصصات الأخرى لا يصمد أمام البحث إذا قصد منه إهمال إعداد المعلمين وتدريبهم . فالتربية في المدارس والجامعات ليست قاصرة على الحفظ والاستظهار ، والمعلم بحاجة ماسّة إلى فهم الأهداف التي تسعى المدرسة إلى تحقيقها ومعرفة الوسائل الموصلة إلى تلك الأهداف . إنه بحاجة إلى اكتساب بصيرة في فهم تلاميذه . وقد أدرك المربون المسلمون هذه الحقيقة إدراكا كاملا . فالغزالي يذكر في كتاب **الأحياء** أن للتعليم آدابا ووظائف منها :

١ ــ الشفقة على المتعلمين .
٢ ــ الاقتداء بالرسول محمد ﷺ .
٣ ــ إبعاد المتعلمين عن الأخلاق السيئة .
٤ ــ مراعاة القدرة العقلية للمتعلمين[1] .

ويكرس ابن جماعة كتابه **تذكرة السامع والمتعلم في أدب العلم والمتعلم** لما يطلق عليه الآن علوم تربوية ، فهو يرى أن الآداب التي ينبغي أن يتصف بها العالم تقسم إلى ثلاث فئات : آداب مع نفسه وآداب مع طلبته وآداب في درسه . وآداب العالم مع نفسه تشمل دوام مراقبة الله والزهد في الدنيا والمحافظة

(١) محمد ناصر : **الفكر التربوي** ، جـ ٢ ، ص ٣٣٣ ــ ٣٣٥ .

على الشعائر الاسلامية ومعاملة الناس بمكارم الأخلاق ودوام الحرص على الاستزادة من العلم والاشتغال بتأليف الكتب[1] . ومن آداب العالم مع طلبته الاعتناء بمصالحهم والتفهيم على قدر الأذهان وشكر من يجيب عن الأسئلة إجابات صحيحة والمساواة بين الطلبة والتودد للحاضرين وذكر الخير للغائبين والاستفسار عن أحوالهم والتواضع مع الطلبة فيخاطب كلا منهم بكنيته ويرحب بهم عند إقبالهم عليه . ولا شك أن هذه تتطلب من المعلم فهم نفسية من يتعامل معهم . أمّا النوع الثالث من الآداب والمتعلق بالدرس فيتضمن أمورا عديدة منها :

التهيؤ للدرس ويدخل في ذلك الدعاء قبل البدء في الدرس وأن يستهل درسه بقراءة آيات من كتاب الله . ومن ذلك أيضا عدم إطالة الدرس أو تقصيره وعدم رفع الصوت زائدا على قدر الحاجة . ولا ينسى ابن جماعة ذكر الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم مع نفسه ومع شيخه وفي درسه .

يتضح مما تقدم أن العلماء المسلمين أدركوا حق الادراك أن التعليم أمر غير عادي فهو يحتاج إلى إعداد معين . لذا حرصوا على ضرورة إتصاف المعلمين بصفات معينة . وقد كرهوا أخذ العلم عن الكتب مما يدل على وعيهم لأهمية العلاقة التي تربط المعلم بطلابه . ولما كان الأمر كذلك فإن كل علم يعين

---

(١) ص ١٥ ــ ٣٠ .

المعلم على حسن التعليم يُرَحَّب به في المعاهد الاسلامية . لكن هذا لا يعني أن نتساهل في قبول المقررات التربوية على عِلّاتِها . فالتكرار في المقررات التربوية ناجم عن عوامل تتصل باختبار محتوى المنهاج وتنظيمه أي أنه ليس جزءا أصيلا في العلوم التربوية . وهذا يعني أن علاجه أمر ممكن .

٦ ــ واقع العلوم التربوية

لكن النقد الأساسي الذي يوجه للعلوم التربوية هو أنها نشأت في بيئات جاهلية تؤمن بالعلمانية . والدراسة الحالية لا تهدف إلى تقصي جميع الخصائص لكل من علم الاجتماع الغربي وعلم النفس الغربي ، إلا أنه يكفي أن نذكر أن كلا من هذين العلمين يتطاول على الدين ويحاول إيجاد تفسير لظاهرة التدين . فعلماء الاجتماع يعتقدون أن العوامل الاجتماعية هي سبب ظهور الدين . ومن أشهر النظريات الاجتماعية التي تعنى بتفسير الظاهرة الدينية تلك التي ترى أن ظاهرة التدين تشبع حاجات الأفراد ، وهي تنتقل من جيل إلى آخر لأنها تزود أفراد المجتمع بتفسير لا تناقض فيه لبعض الخبرات التي يمرون بها[1] . فوجود الدين مرتبط بوظائف اجتماعية معينة .

ويسير بعض علماء النفس على نهج علماء الاجتماع في

---

(1) Argule: **The Social Psycology of Raligion**, pp. 80 - 81.

معالجة ظاهرة التدين ، وقد كانت مدرسة التحليل النفسي أكثر مدارس علم النفس جرأة في هذا المجال . ويرى فرويد أن هناك صلة وثيقة بين مفهوم الاله وبين علاقة الفرد بوالده أي أن مفهوم الاله في السماء تبع لعلاقة المرء مع والده أثناء طفولته . فهناك عمليات نفسية تقود الفرد إلى أن يعلي فكرة الأبوة في السماء فتصبح إلها . وهناك نظرية أخرى قال بها فلوجل وملخصها أن فكرة الاله يمكن تفسيرها من خلال مفهوم الذات العليا . فالمعروف أن الوالدين يعاقبان الأبناء على بعض التصرفات ، ويترتب على ذلك ميل الأطفال إلى كبت السلوك المعاقب خشية مزيد من العقوبة . وفي مرحلة لاحقة تنمو الذات العليا في الطفل فتحل محل الوالدين من حيث إيقاع العقوبة بمعنى أن الطفل يعاقب نفسه كلما ارتكب تصرفا غير صحيح . فالذات العليا هي الرقيب على السلوك في هذه المرحلة . وفي آخر مرحلة من مراحل النمو تظهر فكرة الاله ، وهذا يؤدي إلى تبني قواعد أخلاقية محدودة أي أن الرقيب على السلوك ينتقل من الذات العليا إلى الاله[1] .

يظهر مما تقدم مدى ابتعاد علم النفس وعلم الاجتماع في الغرب عن الايمان بالله . وبدلا من أن يكون الدين نظاما شاملا للحياة يوجه جوانبها نجد أن هؤلاء يعتبرونه مجرد نوع من أنواع الخبرة . فالدين أحد مكونات الحضارة ليس إلّا . وعلماء النفس

(1) **Ibid**, pp. 183 - 187.

وعلم الاجتماع في الغرب هم أكثر العلماء بعداً عن الدين[1] . وتعلل الدراسة التي توصلت إلى هذه النتيجة هذه الظاهرة على النحو التالي : أن علماء النفس وعلماء الاجتماع لديهم تصور معين عن الانسان وعن المجتمع وهذا ما لا يتوافر لعلماء الفيزياء أو الفلك الذين يتخذون من الأشياء ميدانا لدراستهم . وهذا التصور الموجود لديهم ينافس المعتقدات الدينية ويحل محلها . لذا فإن علم النفس وعلم الاجتماع الغربيين لا يصلحان لفهم الانسان المسلم والمجتمعات الاسلامية .

وحيث أن علم الاجتماع التربوي فرع من فروع علم الاجتماع وعلم النفس التربوي فرع من فروع النفس فإنه من المتوقع أن يتأثر كل منهما بالمفاهيم السائدة في الأصل الذي تفرع عنه . لذا فإنه من المفيد التعرف على كل من هذين العلمين ومعرفة القضايا التي تناقش فيهما .

لقد أدرك بعض علماء الاجتماع ورجال التربية منذ مطلع القرن الحالي وجود صلة قوية بين التربية والمجتمع ، ومن هؤلاء ديوي ودوركايم ومانهايم . وقد أطلقت عدة تسميات على هذا العلم الذي يربط التربية بالمجتمع ، ومن هذه التسميات علم الاجتماع التربوي واجتماعيات التربية والأسس الاجتماعية للتربية . وقد ميّز أحد العلماء بين هذه المصطلحات وعرفها على النحو التالي :

(1) **Ibid**, p. 182.

١ ــ علم الاجتماع التربوي : هو استخدام المبادىء العامة لعلم الاجتماع على ميدان التربية . فمبادىء علم الاجتماع تطبق على المؤسسة التربوية باعتبارها وحدة اجتماعية .

٢ ــ اجتماعيات التربية : هو تحليل للعمليات الاجتماعية التي تحدث في المؤسسة التربوية . فاجتماعيات التربية تنمو من خلال علم الاجتماع التربوي وتركز على دراسة ما يجري داخل المؤسسة التربوية .

٣ ــ الأسس الاجتماعية للتربية : ميدان من ميادين المعرفة يشتمل في الغالب على تاريخ التربية وفلسفة التربية واجتماعيات التربية والتربية المقارنة[1] .

وأمّا المفاهيم التي تناقش في علم الاجتماع التربوي أو اجتماعيات التربية فتشمل على ما يأتي :

البيئة ، التطبيع الاجتماعي ، العلاقات الاجتماعية ، التكيف ، التخلف الثقافي وغيرها . كما يهتم هذا العلم بدراسة أثر الاقتصاد على العملية التربوية والمؤسسات المختلفة التي تسهم في عملية التربية مثل الأسرة والمدرسة والكنيسة . ومن القضايا التي يبحث فيها أهل هذا الاختصاص : السلطة ، الاختيار ، بناء المنهج ، الصلة بين اللغة والطبقة الاجتماعية والسير بالفرد نحو الديمقراطية .

(1) Morrish: **The Sociology of Education**, pp. 30 - 36.

ومع أن علماء الاجتماع التربوي يعتبرون التربية المقارنة علما مستقلا إلّا أنهم يجرون مقارنات بين الأوضاع التربوية داخل المجتمع الواحد وبين الأوضاع التربوية في الأقطار الأخرى[1] .

وبما أن طبيعة المؤسسات التي يهتم علم الاجتماع التربوي بدراستها تختلف باختلاف المجتمعات فإن المبادىء والمسلمات التي تسود علم الاجتماع التربوي الغربي لا تلائم المجتمع الاسلامي . فدور المسجد غير دور الكنيسة . والأسرة المسلمة التي تعتبر تربية أبنائها نوعا من العبادة يُتقرب بها إلى الله تختلف في طبيعة وظائفها والعلاقات التي تسود بين أفرادها عن الأسرة الغربية . والقيم المتغيرة في المجتمعات الغربية تقابل في المجتمع المسلم بقيم ثابتة لا تخضع لتأثيرات البيئة . والاعتقاد بثبات القيم الأخلاقية لا تروق للمعجبين بالفلسفات الوضعية ، لذا فإن أحدهم ــ على سبيل المثال لا الحصر ــ ينادي بالقضاء على قيم الصحراء والايمان بالمطلق عن طريق المنهاج الدراسي لأنّ ذلك ضرب من الأوهام[2] . والتوجيه الاجتماعي في المجتمعات الغربية مصدره الأفراد والمؤسسات الاجتماعية . أما في الاسلام فالأمر مختلف لأن الله سبحانه وتعالى بيّنَ المعالم التي يسير السلوك الانساني داخلها ، أي أن تفوّق التوجيه الاجتماعي نابع من سمو

(1) **Ibid**, p. 40.

(٢) محمد جواد رضا : التربية والتبدل الاجتماعي في الكويت والخليج العربي ، ص ٩٧ .

مصادره . وهذا القول لا يعني أن الاسلام يهمل قيمة الفرد أو المجتمع . فالمجتمع يكون مصدرا من مصادر الالزام والتوجيه عندما يتطهر أفراده من الرذائل ويلتزمون شرع الله . فالمؤمنون يمارسون الضبط الاجتماعي استجابة للتعليمات الاسلامية ، وما قصة المخلفين الثلاثة إلّا مثال على ذلك . والقرارات التي يتخذها أفراد المجتمع المسلم تختلف عن النمط الديمقراطي الذي يتغير بتغير رأي الأغلبية . ويترتب على هذا القول التسليم بعدم صلاحية النمط الديمقراطي في الادارة المدرسية ، وهو في ذلك يتساوى مع النمط الاستبدادي أو ما يطلق عليه البعض أحيانا الدكتاتوري . فالفارق الأساسي بين القرارات في المجتمع الاسلامي وفي المجتمع الديمقراطي هي أنها تصبح سارية المفعول في المجتمع الديمقراطي بمجرد موافقة الأغلبية . أما في المجتمع الاسلامي فلابد من التأكد من عدم معارضة القرارات التي تتخذ مع الكتاب والسنة ؛ إذ لا يحق للأغلبية في المجتمع الاسلامي أن تجتهد في قضايا تعرض لها القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو أن تتخذ مواقف تتعارض مع ما جاءت به الشريعة الغراء . وإذا كانت الديمقراطية لا تهدف من وراء قراراتها التي تتخذها الأغلبية إلى أكثر من تحقيق منافع آنية لمن يتخذون القرار فإن الشورى في الاسلام تهدف إلى تَحَرِّي الحق والخير من قبل من هم أهل لذلك . ففي الشورى ترد الأمور إلى منهاج الله ردا أمينا يقوم على الايمان والعلم والاختصاص . ويذكر عدنان النحوي أن كل موقف لا يتفق مع

منهاج الله يرفض رفضا تاما مهما حمل من شعارات زائفة ورايات براقة[١] .

يظهر مما تقدم أن علم الاجتماع الغربي لا يصلح بشكله الذي هو عليه للتدريس في المعاهد والكليات التربوية الاسلامية . وهذا الأمر ينطبق كذلك على علم النفس التربوي ، والسبب في ذلك عدم وجود تصور سليم للنفس الانسانية . وينتج عن ذلك عدم إدراك طبيعة الدوافع التي تحرك السلوك والطريقة التي يتعلم بها الكائن الانساني . فمعظم إن لم نقل جميع كتب علم النفس التربوي تحتوي على معالجة ضافية للنظريات الحديثة في التعلم . وقد أجريت الدراسات التجريبية في كل من هذه النظريات على الحيوانات . ولا يستطيع أحد أن يثبت وجود صلة قوية بين الطريقة التي يتعلم بها الحيوان في أي من هذه النظريات وبين تعلم الطلاب في الصفوف المدرسية . فالطلاب يظهرون أنماطا من السلوك لا تظهر عند الحيوانات مثل القدرة على تذكر الماضي والتفكير النقدي والتفكير الابداعي[٢] . ثم أن الانسان يمتاز على الحيوان بقدرته على استخدام الرموز . وهذه القدرات تترك بصمات واضحة على العملية التعليمية ؛ إذ أن الضعف في استخدام اللغة يؤدي في الغالب إلى تدني القدرة على التعلم .

---

(١) عدنان النحوي : **ملامح الشورى في الدعوة الاسلامية** ، ص ٦٣٠ .

(2) Morris: "The Contributions of Psycology to the study Education" in Tibble: **The Study of Education**. pp. 163 - 164.

وفي كتب تاريخ التربية التي أُلفت في الغرب أو على نهج المؤرخين الغربيين نجد تجاوزات واضحة : فهي لا تعطي التربية الاسلامية العناية التي تستحقها . ففي الكتب الغربية لا تعالج التربية الاسلامية إلّا من خلال مدى تأثيرها على أوربا المسيحية* . وفي معظم المؤلفات العربية التي ظهرت في هذا الميدان يكرس فصل واحد للتربية الاسلامي ، وهي بهذا تتساوى مع سائر التربيات الأخرى مثل التربية اليونانية والرومانية والمسيحية والحركة الطبيعية والحركة النفسية وغيرها** . والمسلّمة الخفية التي تنطوي عليها هذه النظرة هو أن التربية الاسلامية ظهرت في فترة تاريخية ثم اختفت ، وفي هذا ظلم كبير للتربية الاسلامية ، فالمربون المسلمون ظلوا يرفدون التربية بعطائهم على مر العصور مصداقا لقول الرسول عليه السلام :

« لا يزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون »(١) .

فالتربية الاسلامية لم تمت كما هو الحال بالنسبة للتربية

* مثال ذلك الكتاب التالي :
Power: **Main Currents in the History of Education.**

** يستثنى من ذلك الكتابات التاليان :
— أحمد شلبي : **التربية الاسلامية**
— محمود السيد سلطان : **مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ** .

(١) **صحيح البخاري** ، جـ ٨ ، ص ١٤٩ ، كتاب الاعتصام ، باب لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين .

اليونانية والرومانية وغيرها . كما أن المؤسسات التربوية ظلت قائمة حتى يومنا هذا وستظل بإذن الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن التصورات المغلوطة للتربية الاسلامية إدراجها في بعض المؤلفات ضمن التربية القديمة ، وهذا التصنيف ينطوي على الاقلال من شأنها لأن الانسان يرغب في الأشياء التي تصلح لعصره . ومن أوضح الأمثلة على المغالطات في هذا الميدان ما يقوله الدكتور فاخر عاقل عن رأيه في « القديم » الذي أدرج تحته تربيات متعددة من ضمنها التربية الاسلامية . يقول ما نصه :

« من المألوف أن يترحم الناس على أيام زمان وأن يذكروا الماضي بالخير .. والعجيب في الأمر أن كل جيل يتلو جيلا يردد ما كان يردده الجيل السابق حتى ليخيل للمتأمل أن الانسانية في تدهور وأن الاقتصاد في تقهقر وأن الأخلاق تتردى ... والأعجب من هذا وذاك أن المراقب حيث يلتفت حوله وينظر بعين مجردة وعقل متفتح وقلب نابض يجد أن الأمر على النقيض وأن الانسانية تتقدم ... وأن الأخلاق في ألف خير إذا قورنت بما كانت عليه »(١) .

(١) فاخر عاقل : **التربية قديمها وحديثها** ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

فالحديث ـــ حسب زعمه ـــ خير من القديم . ومع أننا لسنا من أنصار كل ما هو قديم إلا أننا نرفض ربط الخير العميم بالعصر الحديث . فالقرآن الكريم الذي جاء شفاء ورحمة للمؤمنين نزل على الرسول الكريم في القرن السابع الميلادي لا في القرن العشرين . وإنه لظلم كبير أن تصنف التربية الاسلامية ضمن التربيات القديمة ثم يربط بين القديم وبين التأخر في سائر المجالات لأن هذا يعني الترويج لتخلف التربية الاسلامية . يضاف إلى هذا أن واقع المجتمعات المعاصرة خير دليل على عدم صدق هذه المقولة . فالمجتمعات الغربية الحديثة تشكو من التخمة في الوقت الذي يعاني فيه ملايين البشر في القارة الافريقية من نقص خطير في المواد الغذائية الضرورية لبقائهم على قيد الحياة . والعصر الحديث الذي زود الانسان بوسائل الراحة هو العصر الذي حمل معه القلق والاضطرابات النفسية . ويذكر العالم الفرنسي المولد اليكس كاريل أن ازدحام المصحات العقلية في أمريكا بالمجانين والمصروعين دلالة واضحة على مدى استعداد شعور الرجل العصري للعطب[1] .

بقيت نقطة لابد من الاشارة إليها في نهاية الحديث عن العلوم التربوية الغربية أو تلك التي تسير على نهجها وهي أنّ تعارض هذه العلوم مع التصور الاسلامي لا يعني بالضرورة أن كل ما جاءت به شر مستطير على المسلم أن يحذر منه . فلو

(١) كاريل : **الانسان ذلك المجهول** ، ص ١٧٨ ـــ ١٧٩ .

كان كل ما في الغرب عيوبا لانهارت تلك المجتمعات . لكن الهدف الأساسي الذي نسعى إلى إبرازه في هذا البحث هو تميز العلوم التربوية الاسلامية عن غيرها ، فالاسلام الذي يوجه الانسان في كل تصرف من تصرفاته لا يسمح لأتباعه تقليد غيرهم في كل تصور يتعارض مع مبادئه . كما أنه يحدد الاطار لكل علم من العلوم التربوية من حيث الأهداف والمحتوى والطريقة التي يدرس بها وطريقة التقويم والمنهجية في البحث .

٧ ـــ التوجيه الاسلامي للأهداف

التوجيه لغة تبيان أثر الطريق حتى يستبين لمن يسلكه[1] والمعنى الاصطلاحي لهذه اللفظة لا يخرج عن هذا المعنى . وبما أن أهداف العلوم التربوية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأهداف الأساسية التي تنشدها الأمة في تربية جيل مسلم يعبد ربه حق العبادة فإن كلا من تلك العلوم يحكم عليه من خلال معرفة مدى إسهامه في تحقيق هذا الهدف النبيل .

لكن مجرد الاشارة إلى تلاحم أهداف العلوم التربوية مع الهدف العام للتربية لا يكفي إذا ما أريد توجيه تلك العلوم توجيها سديدا ، أي أنه لابد من وجود توجيهات محددة لكل منها . ففي علم النفس يجب أن ينصب الاهتمام على معرفة الخصائص

(١) ابن منظور : **لسان العرب** ، جـ ١٣ ، ص ٥٥٨ .

الأساسية التي يمتاز بها الانسان . صحيح أن الانسان يشترك في بعض مظاهره مع الكائنات الأخرى لكنه لا يتساوى معها . فمن أهم أهداف علم النفس المسلم صيانة الفطرة من العوامل التي تخرجها عن مسارها . فالانفعالات وإغراءات المال والجسد تدرس على ضوء هذا الهدف . أما الدوافع التي يشترك فيها الانسان مع الحيوان فتدرس بهدف السيطرة عليها ، ذلك أن الانسان مسؤول عن تصرفاته . وفوق هذا وذلك فإن كل العمليات العقلية وأنماط السلوك الصادرة عن الفرد يجب أن توجه لكسب رضوان الله تعالى[1] وعالم النفس المسلم لا ينخدع بالمظاهر السلوكية لأنه يدرك أنه يكمن وراءها دوافع تستقر في الأعماق . فسلوك الانسان المؤمن حين تترقرق عيناه بالدموع لا يفهمه إلا من يدرك حقيقة أن الخوف والأمل والرجاء لا تكون إلّا من الله .

وعلم الاجتماع التربوي لا يقل أهمية عن علم النفس التربوي ، فمع أن لكل منا ذات مستقلة إلّا أن الوجود الانساني على ظهر الأرض بدأ بآدم وحواء عليهما السلام أي أن روح الجماعة ولدت في اللحظة التي هبط فيها الانسان إلى الأرض . والكشف عن سنن الله في المجتمع هدف أساسي من أهداف التربية الاسلامية . والاسلام مع دعوته إلى التسليم بوجود سنن

(١) عبد الحميد الهاشمي : « صبغ علم النفس بالصبغة الاسلامية » بحث نشر في إسماعيل الفاروقي : **العلوم الطبيعية والاجتماعيا من وجهة النظر الاسلامية** . ص ٩٥ ــ ٩٦ .

ثابتة إلا أنه لا ينكر وجود تغيرات اجتماعية واقتصادية على مر السنين . لذا فإن من أهداف علم الاجتماع التربوي تبصير الدارسين بالتغيرات المرغوب فيها وبتلك التي تندرج في قائمة البدع غير المرغوب فيها . والمدرسة في المجتمع الاسلامي عامل أساسي لكبح جماح أي تسارع في التغيرات الاجتماعية . ومن أهداف علم الاجتماع التربوي كذلك غرس القيم الخلقية الاسلامية ومحاربة كل ما يتعارض معها . ومن هنا فإن التربية الاسلامية تهدف إلى دراسة ومقاومة النشاط الذي يقوم به المبشرون النصارى في مجال التربية مستغلين الفقر والجهل الذي يسود تلك المجتمعات . ومن المفيد أن يبين علم الاجتماع التربوي الآثار الاجتماعية الضارة الناجمة عن تدريس أبناء المسلمين في المدارس التبشيرية وفي المعاهد العلمية في البلدان الرأسمالية والاشتراكية . ولابد لعلم الاجتماع التربوي من دراسة الدور التربوي للمسجد وسائر المؤسسات الاجتماعية الأخرى عبر التاريخ الاسلامي لرصد العوامل التي أسهمت في إضعاف تلك المؤسسات . وعليه فإنه يمكن القول أن الهدف الأساسي يكمن في تدعيم الصفات الأساسية التي جعلت الأمة الاسلامية خير أمة أخرجت للناس مع الأخذ من عناصر المعاصرة بكل ما لا يتعارض مع تلك الصفات الأصيلة .

أمّا أهداف تاريخ التربية فتدرك من خلال تأكيد الاسلام على استخلاص العبر من الأحداث التاريخية . فليس الهدف مجرد

سرد الأفكار التربوية الاسلامية أو غير الاسلامية وإنما يتعدى ذلك إلى معرفة الأسباب المحركة للأحداث والنتائج المترتبة عليها . فالقرآن الكريم يخبرنا أن انهيار المجتمعات البائدة يجب أن تنمى في الدارسين القدرة على النقد لتقويم ما يدرسون وفق المعايير الثابتة . وهذا الأمر ينطبق على تاريخ التربية في المجتمعات المسلمة وغير المسلمة على حد سواء . فسمو التربية الاسلامية لا يعني بالضرورة أن كل ما ساد في المجتمعات الاسلامية كان إسلاميا ولو كان كل التراث التربوي في البلاد الاسلامية إسلاميا لاندرج في دائرة التربية الاسلامية ما كتبه إخوان الصفاء وسائر الفلاسفة الذين نهلوا من مصادر إغريقية . لكن الأمر خلاف ذلك . فالهدف الأساسي من دراسة تاريخ التربية هو معرفة مدى قربها أو بعدها عما ينبغي أن تكون عليه . وهذا الهدف المعياري لا يطلب من عالم التربية تزوير الحقائق أو إصدار أحكام عامة بل يحتم عليه التزام الصدق والأمانة وكل الصفات التي يتصف بها القاضي العادل . ومعنى هذا أن دراسة تاريخ التربية تنمي في الدارسين الحس الاسلامي في ميدان التربية وتكوّن فيه اتجاهات سليمة نحو ما يسود التربيات الجاهلية غربية كانت أو شرقية .

٨ ــ التوجيه الاسلامي للمحتوى

الأهداف التربوية لا تتحقق في فراغ ، إذ بدون محتوى ملائم تظل الأهداف شعارات غير قابلة للتطبيق في دنيا الواقع .

ويقترح الدكتور بشير التوم عدة معايير لاختيار المحتوى وهذه هي[١] :

١ ــ أن تكون الموضوعات التي تناقش ذات صلة بالتربية وبما يفيد المسلم عند أداء واجبه في المدرسة والمجتمع . فالأمية المتفشية في المجتمعات المعاصرة تستحق الرعاية والاهتمام من علماء التربية المسلمين بخلاف قضية تنمية العلاقات الودية بين أفراد الجنسين التي تروج لها التربيات الوضعية .

٢ ــ إعادة النظر فيما كتب في العلوم التربوية الغربية على أن يستفاد مما يتمشى مع المبادىء الاسلامية ويحذف ما يتعارض معها . ومن المفاهيم التي يجب أن ترفض في العلوم التربوية : الاعتقاد بوجود صلة قربى بين الانسان والحيوان ، التكيف مع الأوضاع الراهنة ، الايمان بأن جميع القيم متغيرة ، الاعتقاد بسمو التربية البراغماتية التي يتعتونها بالتقدمية ، مفهوم الانحراف أو الشذوذ الذي يرتبط بالبعد عن الغالبية .

٣ ــ أن يقوم علماء التربية في العالم الاسلامي بإضافات جديدة كل في ميدان تخصصه . ومن الموضوعات التي يتميز بها علم النفس التربوي الاسلامي : تكامل

(١) تأصيل تربية المعلم ، ص ٤٥ ــ ٤٦ .

الشخصية وفق التصور الاسلامي ، دافع الفطرة وسبل تنميته ، العوامل المتصارعة التي يتعرض لها الفرد المسلم في العصر الحديث ، كيفية التصدي للانهزام النفسي أمام الحضارة الغربية . ويتيح تاريخ التربية للدارسين المقابلة بين الماضي الاسلامي الزاهر والحاضر المتخلف ، وهذا يستوجب تقصي أسباب الضعف الداخلية والخارجية على حد سواء . وفي علم الاجتماع التربوي الاسلامي موضوعات لا نجدها في علم الاجتماع الغربي نذكر منها : الآداب الاجتماعية التي تغرسها المدرسة في نفوس طلابها ورسالة المسجد التربوية ، الأمراض الاجتماعية في المجتمعات الاسلامية مثل الجهل والبدع ، المشكلات التعليمية التي تعاني منها الأقليات الاسلامية ، مفهوم التنمية المنبثق عن تسخير الله سبحانه وتعالى للانسان جميع ما على الأرض وما في داخلها والشمس والقمر وسائر الكواكب والنجوم والنقص الخطير في ميدان الصناعة .

٤ ــ أن يتصف العالم المسلم الذي يتصدى للكتابة في أي من العلوم التربوية بصفات العالم المسلم ، فالمحتوى ينبغي أن يكون صادقا إي يجب أن يعكس حقيقة العلم الذي ينتمي إليه إذ لا شيء أخطر على الاسلام من السطحية . ومعنى ذلك أن الاستشهاد ببعض الآيات والأحاديث دون إدراك صحيح لمقاصدها يضر أكثر مما ينفع .

٥ ــ يضاف إلى ما تقدم أن المحتوى يجب أن يكون خاليا من المصطلحات والكلمات الأجنبية ، فلغة القرآن الكريم قادرة على استيعاب سائر العلوم ، وقد أثبت التاريخ صدق هذه الحقيقة . ذلك أنه إذا لم تعتبر استعارة الكلمات الأجنبية مرضاً فهي أضعف الايمان عرض لمرض خطير اسمه الانبهار بالغرب وتقليده حتى في الكلمات المستخدمة دون مبرر . ولا داعي للكاتب التربوي أن يتّكيء على عكاز أجنبي عند الكتابة باللغة العربية .

يظهر من المناقشة السابقة أن العلوم التربوية قد تشترك مع العلوم التربوية الوضعية في مناقشة بعض الموضوعات ، لكن طريقة المناقشة تختلف ؛ والسبب في هذا الدور الذي يلعبه الدين الاسلامي في ميادين المعرفة المختلفة . ثم أن كلا من هذه العلوم ينفرد عن العلوم الوضعية بمناقشة قضايا معينة لا تتطرق إليها تلك العلوم . فمحتوى العلوم التربوية الاسلامية متميز . والمبادىء الاسلامية التي تستمد منها هذه العلوم جذورها تعمل بمثابة قوة طاردة لكل ما هو غير إسلامي ، فلا أسس فلسفية للتربية لأن الفلسفة دخيلة على المجتمع الاسلامي[٥] . ولا نحتاج في التربية الاسلامية إلى فلاسفة تربويين يُبيّنون لنا طبيعة الأهداف التربوية .

---

٥ ناقش المؤلف مكانة الفلسفة في التربية الاسلامية في الفصل الثاني من كتابه : المنهاج الدراسي : أسسه وصلته بالنظرية التربوية الاسلامية .

وإنكارنا لوجود فلسفة تربوية حتى ولو اتسمت بالاسلامية لا يتعارض مع دراسة الفلسفات التربوية الوضعية سواء أكان ذلك في تاريخ التربية أو التربية المقارنة شريطة أن تُقوَّم على ضوء تعاليم الاسلام . فلا حظر على دراسة النظرية البراغماتية أو النظرية الماركسية في التربية ، بل تدرس هاتان النظريتان وغيرهما دراسة موضوعية ثم يقارن بين كل منها وبين النظرية التربوية الاسلامية مقارنة هادفة .

٩ ــ التوجيه الاسلامي للطريقة

الطريقة التي تنقل محتوى معينا للدارسين تعتمد في طبيعتها على الأهداف التربوية ، فإذا كان الهدف تزويد الدارسين بأكبر قسط من الحقائق فإن المحتوى يهتم بكمية الحقائق التي يقدمها ، أمّا إذا كان الهدف تحليل الظاهرة والتعرف على أسبابها واستخلاص النتائج فإن المحتوى ينظم بطريقة تمكن الدارسين من ربط الأسباب بالنتائج . والتربية التي تعنى بالجانب النظري من المعرفة لا تبين للدارسين الكيفية التي يمكن أن تطبق بها تلك الآراء في الحياة العملية . وعندما تعتبر التربية مصلحة الفرد مقدمة على مصلحة الجماعة فإن المحتوى الذي يقدم للدارسين لا يتضمن مطالب المجتمع ولا تتدخل التربية لغرس تلك المطالب . وفي التربية الاسلامية نجد أن الاهتمام يتركز على بناء الشخصية الاسلامية المتزنة . ومن هنا فإن الطريقة التي يكتسب بها المحتوى يجب أن تسهم في تحقيق هذا الهدف . وهذا هو

المعيار الأساسي للطريقة . فعالم النفس التربوي المسلم يمكنه أن يستعين بالأدلة الاحصائيات المناسبة التي تقنع الدارسين بأن إشباع الحاجات العضوية لا يتم بطريقة حيوانية ؛ وعالم الاجتماع التربوي المسلم يهتم بكتابة حقائق علمه بطريقة تقود الدارسين إلى تبني القيم الاسلامية بخلاف العالم الوضعي الذي قد يعرضها بطريقة حيادية .

والمعرفة الانسانية تكتسب بطرائق متعددة وما الطريقة العلمية إلّا واحدة منها . ويترتب على ذلك أن المحتوى في العلوم التربوية لا يبالغ في امتداح الطريقة العلمية ، وعلى العلوم التربوية أن تعكس في محتواها مختلف الطرق المتبعة في اكتساب المعرفة . فتاريخ التربية يعمق مدارك الدارسين ويبصرهم بطبيعة المنهج التأريخي ؛ والتربية المقارنة تقوم على تحليل المفاهيم والنظم التعليمية والحكم عليها . فالمعيار الثاني للطريقة التربوية هو الشمول بمعنى أن محتوى العلوم التربوية يجب أن يعكس مختلف الطرائق المستخدمة في اكتساب المعرفة وأن لا يقف عند واحد منها .

وأمّا المعيار الثالث للطريقة فهو الموازنة بين الجانب النظري والجانب التطبيقي . فكما أن النظرية وحدها نوع من السفسطة والترف الفكري فإن العمل الذي لا يوجهه إطار نظري ضرب من الجنون[1] .

---

(١) يوسف كمال : مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ، ص ١١٩ ــ ١٢٠ .

فعالم النفس المسلم لا يهمه تزويد الدارسين بمواصفات الشخصية المتزنة بقدر ما يهمه تبيان الطريق الذي يمكن أن يسلكه كل منهم للوصول إلى ذلك . وعالم تاريخ التربية المسلم لا يكتفي بوصف الاتجاهات التربوية المنحرفة مثل التربية الطبيعية ــ على سبيل المثال ــ بل يطالب الدارسين الابتعاد عن تلك المعتقدات . وبينما لا يدرك طالب علم الاجتماع الغربي ما الذي يفعله بعد التخرج فإن الطالب المسلم مسؤول عن تطبيق ما يدرسه[1] .

ومع أن ما يجري في المدرسة ليس جزءا من الطريقة التي يكتب بها المحتوى ، إلّا أن الصلة بينهما قوية . وتعتمد نوعية الفائدة التي يجنيها الدارسون على طبيعة المناخ الاجتماعي الذي يسود المؤسسات التعليمية . فمن المهم أن تسود المدرسة علاقات اجتماعية تعكس القيم الاسلامية وأن تتاح الفرصة للدارسين لتطبيق المبادىء النظرية التي درسوها ، فالشورى لا تفهم عند الدارسين في مؤسسة تعليمية تسودها الفوضى أو الادارة الاستبدادية . وروح التعاون والاخوة في الله تنمّى من خلال أداء الصلاة جماعة أثناء الدراسة والاشتراك في أعمال جماعية تعود بالفائدة على المجتمع .

(١) يانونس : « علم الاجتماع والواقع الاجتماعي المسلم » نشر في إسماعيل الفاروقي : **العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة نظر الاسلام** . ص ٥٨ ــ ٥٩ .

١٠ ــ التوجيه الاسلامي للتقويم

التقويم معناه إعطاء الشيء قيمة . والعملية التربوية لا تستغني عن التقويم : فمدير المدرسة أو الكلية أو المعهد يُقَوِّم المعلمين والمعلم يُقَوِّم جهود طلابه عن طريق الاختبارات التحريرية أو الشفوية أو المقابلة أو غيرها . ومع أهمية التقويم في المجالات آنفة الذكر إلّا أنها لا تدخل في اهتمامات الدراسة الحالية ، إذ أنّ ما نريد إيضاحه هو طبيعة التقويم في كتابات التربويين .

إن التربية الاسلامية لا تفصل بين الشخص وتصرفاته بمعنى أن الذي يؤمن بمبادىء معينة مطالب بالالتزام بها في حياته العملية . وهذه الحقيقة تفسر سبب ذم القرآن الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون . فعالم النفس التربوي المسلم أو عالم الاجتماع التربوي المسلم مسؤول عن تطبيق المبادىء التي يدعو إليها . والمجتمع المسلم يستهجن على العالم بعده في سلوكه عن المبادىء الاسلامية . ولعل الحادثة التالية تلقي الضوء على هذه القضية .

يروي الغزالي في كتابه **إحياء علوم الدين** أن حاتم الأصم ــ وكان معاصرا للامام أحمد بن حنبل رحمه الله ــ سمع أن أحد علماء قزوين قد وسع على نفسه في هذه الحياة أكثر مما ينبغي . فذهب حاتم إليه وسأله أن يعلمه الوضوء عمليا . وبعد أن أتم ذلك قال له حاتم : أريد أن أريك كيف أتوضأ كي

أتأكد من صحة تعليمي ؛ فتوضأ أربعا أربعا . فقال له العالم : لا يا هذا فقد أسرفت . عندئذ التفت إليه حاتم وخاطبه قائلا :

« يا سبحان الله : أنا في كف من الماء أسرفت وأنت لم تسرف في هذا المال كله ! »[1] .

فالمعيار الأول للتقويم هو التزام العالم بما يدعو إليه من مبادىء في ميدان تخصصه بصفة خاصة وقواعد السلوك الانساني التي دعا إليها الاسلام بصفة عامة .

والعالم المسلم لا يكتفي بوصف الظواهر التي يتحدث عنها ، ولذا يشترط فيه صفات عديدة حتى يبتعد في أحكامه عن الأهواء . ومن أهم هذه الصفات :

١ ــ التجرد من الآراء الشخصية عند البحث والكتابة .
٢ ــ التثبت من الأدلة قبل إصدار أحكامه .
٣ ــ عدم الاكتفاء بظواهر الأمور والتعمق في بحث دوافع السلوك الفردي والاجتماعي .
٤ ــ البعد عن الغرور لأن العالم المسلم يعلم أنّ فوق كل ذي علم عليم .
٥ ــ الوقوف عن حدود ما يَعْلم .
٦ ــ الاعتراف بالخطأ والعودة إلى الصواب إذا تبين الحق[2] .

---

(١) جـ ١ ، ص ١١٣ .

(٢) فؤاد أبو حطب : « التوجيه الاسلامي لعلم النفس » ، ص ١٩ ــ ٢٠ .

٧ ــ الابتعاد عن التفكير الخرافي .

وقد يشترك العالم غير المسلم مع العالم المسلم في بعض هذه السمات ، لكن الحالة النفسية للعالم المسلم تجعله يمتاز عمن سواه في القضايا المشتركة . فالعالم المسلم يخشى الله فيما يكتب وتكون نيته أثناء الكتابة متجهة إلى خالقه ، وهذا يضفي على العمل التربوي بعداً لا نجده عند أي من العلماء الوضعيين . فالصفات الايمانية التي يتصف بها العالم المسلم تجعله أكثر أهلية للحكم على الأشياء .

وحيث أن الكتابات التربوية الاسلامية تهدف إلى تقويم ما تعرض له من آراء وضعية أثناء عملية المقارنة ، وحيث أن النظريات الوضعية تحيط بالدارسين المسلمين عن أيمانهم وعن شمائلهم ، فإن المؤلفات التربوية يجب أن تنمي فيهم القدرة على التقويم . ويمكن أن تطرح في كل فصل مجموعة من الأسئلة التي تتحدى تفكير الدارسين . وليس من الضروري أن تكون هذه الأسئلة في نهاية الفصل بل أن بعض الأسئلة قد ترد في البداية لأنها تعمل بمثابة موجه للدارسين .

وإخيرا فإن المؤلفات في ميدان العلوم التربوية الاسلامية ينبغي أن ترشد الدارسين إلى المؤلفات التي تنطلق من منطلقات إسلامية ، فالمربي في المجتمع الاسلامي يحمل عقيدة الاسلام التي تفرض عليه أن يسير وفق توجيهات محددة في كل ما يقوم به .

١١ ــ التوجيه الاسلامي للمنهجية

مناهج البحث في العلوم التربوية مدخل خطير يلج منه التصور الغربي للعلم مُقنّعا بشعارات براقة منها الموضوعية والدقة والتجريب وما إلى ذلك . فمن الأمور المسلّم بها وجود ارتباط عضوي بين الجانب النظري في أي ميدان من ميادين المعرفة وبين المناهج المستخدمة في اكتساب ذلك الجانب وتنميته . ويعرف كل من درس في الجامعات الغربية دراسة واعية أن الجامعات الغربية تتبنى الاتجاه العلماني في قضايا التربية وأنها تدرب الدارسين الوافدين من الأقطار الأخرى بنفس الطريقة التي تدرب بها أبناء المجتمعات الغربية . وحيث أن النظرية البراغماتية هي النظرية السائدة في الولايات المتحدة على الأقل فإن البحث العلمي يتم بصورة شكلية ميكانيكية . فالدراسة تقوم على الملاحظة والتجريب وتبدأ بتحديد المشكلة ثم وصف موجز للدراسات السابقة ثم صياغة الفرضيات ووضعها موضع الاختبار ثم الوصول إلى نتائج[1] .

والاسلام لا يحارب الطريقة العلمية لأنه دين يعلي من قيمة العلم الحقيقي والعلماء الربانيين . وهذه حقيقة يعرفها حتى أعداء الاسلام الذي اطلعوا على حقائقه وتاريخه . يذكر المستشرق الألماني روزنتال أن موقف الغربيين من الطريقة العلمية عند المسلمين

(١) محمد عيسى فهيم : إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ، ص ٣٠ .

موقف غير صحيح لأسباب منها قلة المصادر التي تعالج هذه القضية وشعورهم بالتفوق شعورا لا يرتكز على أي منطق سليم[1] .

فالطريقة العلمية ليست من مخترعات العصور الحديثة أو مبتكرات العقل الغربي . والتوجيهات الاسلامية لمناهج البحث في ميدان التربية يمكن تلخيصها في النقاط التالية :

١ ــ تعدد المناهج المستخدمة في الميدان التربوي : يحث الاسلام الانسان على دراسة الماضي البشري وتحليله واستخلاص العبر والدروس . والماضي مليء بالدروس التي تحتاج إلى الفهم عن طريق التحليل والمقارنة . والنفس الانسانية التي تتركز حولها العملية التربوية تتكون من عناصر متمايزة هي الجسم والعقل والروح . وبينما يستطيع العقل بمساعدة الحواس إدراك الأشياء والسلوك الملاحظ للآخرين فإنه مطالب بعدم البحث في القضايا التي يعجز عن بحثها وما عليه إلّا الاعتقاد بصحتها . ومن هنا يتضح أن العلوم التربوية تستطيع استخدام المنهج التأريخي والتحليلي والتجريبي وغيرها . وكل من هذه المناهج يستخدم في المجال الذي يصلح له . فدراسة الحقائق التاريخية لا تدرس بالمنهج التجريبي وهكذا . لذا فإن

(١) مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ، ص ١٦ ــ ١٧ .

التصور الاسلامي يرفض النظرة الاستعلائية التي تسبغها العلوم التربوية الغربية على الطريقة العلمية ، ويتجلى ذلك في تفضيل نتائج الدراسات التجريبية على نتائج الدراسات النظرية ، بل تعدى ذلك إلى تفضيل الدراسات الميدانية التي تعتمد على طريقة الاستبيان مع ما في هذه الطريقة من مآخذ كثيرة تبعدها عن الطريقة العلمية . وقد آن الأوان لازالة الغشاوة عن العيون ومحاربة الانبهار بالطريقة العلمية في الميدان التربوي مع إيماننا العميق بضرورة اتباع هذه الطريقة في المجالات التي تصلح لها .

٢ ــ عدم الاكتفاء بالأرقام : الاسلام يدعو إلى الدقة والاتقان لأن الله سبحانه وتعالى يحب إذا عمل أحدنا عملا أن يتقنه . ولفظة « أحصى » التي تدل على الدقة المتناهية وردت في آيات عديدة منها قوله تعالى :

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[1] .

وعلم الاحصاء الذي يستخدم العديد من المفاهيم مثل النسبة المئوية ومعامل الارتباط والوسط وما إلى ذلك يستخدم في ميدان التربية على نطاق واسع . ويندر أن يخلو بحث تربوي تجريبي من بيانات ومعلومات إحصائية . ومن الاتجاهات التي تنميها الأساليب الاحصائية الخلط

(١) يس : ١٢ .

بين الاقتران والسببية ؛ فوجود معامل ارتباط بين ظاهرتين مثل تدني مستوى الطالب والتسرب من المدرسة يغري الباحث باستنتاج أن أحدهما سبب للآخر مع أن الأمر قد يكون خلاف ذلك[1] ؛ كما قد تكون الظاهرتان ناتجتين عن عامل ثالث . وقد بين القرآن الكريم خطأ هذا التفكير عندما ذم التطير في العديد من الآيات .

ثم أن الكتب والدراسات التي تستخدم الأرقام توحي للقارىء بصورة مباشرة أو غير مباشرة أن الرقي في هذا البلد أو ذاك يعتمد على الكم . ومع أن تزايد عدد الطلاب في قطر معين أمر مرغوب فيه إلا أن الاكتفاء بالأرقام لا يكفي . ويذكر الدكتور محمد فاضل الجمالي أن تخريج شباب منبت عن حضارته أو شبه أمي لا يعطي الأرقام قيمة تستحق الاعجاب مهما كانت تلك الأرقام عالية[2] . وهذا يعني أن الكم وحده لا يكفي وأن التربية يجب أن تعنى بالجودة في الوقت الذي تعنى فيه بالعدد . جاء في الحديث أن الرسول ﷺ قال في وصف يوم القيامة :

« يقول الله يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير

(1) Stableford: **The Mysteries of Modern Science**, p. 255.

(٢) محمد فاضل الجمالي : **نحو تربية مؤمنة** ، ص ٣٥ .

في يديك قال يقول أخرج بعث النار ؟ قال وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين »[1] .

فنسبة من يدخلون الجنة إلى المجموع الكلي ــ أي واحد في الألف ــ لا قيمة لها في لغة الاحصاء والبحوث التجريبية التي تلتزم الطريقة العلمية ، لكن من تمثلهم هذه النسبة الضئيلة هم الفائزون حقا .

٣ ــ الالتزام بالقيم الاسلامية عند البحث : هناك من يدعو إلى التخلي عن القيم التي يؤمن بها الباحث أو العالم عند القيام بالبحث أو الكتابة في ميدان التربية لأن الابقاء على تلك القيم يتنافى مع الموضوعية التي يجب أن يتصف بها البحث العلمي . وقد سبق أن أوضحنا أن العملية التربوية تتضمن في أساسها إصدار الأحكام على الظواهر التي تدرسها ، أي أن الباحث أو العالم لا يستطيع بالفعل أن يتخلى عن قيمه لأن ذلك يفقده المعايير التي يستند إليها . وإضافة إلى إسهام القيم في الحكم على الأشياء فإنها تسهم أيضا في اختيار الموضوعات التي تُبحث . فالمربي المسلم يهمه ــ مثلا ــ معرفة العوامل التي تفسد الفطرة وغيرها من القضايا الرئيسية . فما هو مهم في مجتمع قد

(١) صحيح البخاري ، جـ ٧ ، ص ١٩٦ . كتاب الرقاق . باب قوله عز وجل إن زلزلة الساعة شيء عظيم .

يكون غير مهم في مجتمع آخر . لذا فإنه يتوجب على الباحثين الحذر من كل دعوة تدعوهم إلى إفراغ قلوبهم من كل عقيدة لأن الشيطان مستعد لاملاء الفراغ الناجم عن خلو المرء من عقيدة ولو بصورة مؤقتة .

١٢ ــ بعض العقبات وسبل مقاومتها

إن تشخيص العقبات التي تقف حجر عثرة أمام توجيه العلوم التربوية وجهة إسلامية على جانب كبير من الأهمية ، فهذه العراقيل وإن لم تكن جزءا من طبيعة هذه العلوم إلا أنها تؤثر في كيفية استخدام هذه العلوم في الكليات التربوية . ولا يستطيع المربي المسلم القيام بعمله على الوجه المطلوب إلا إذا أدرك هذه التحديات ووضعها في الحسبان . ومن هذه العوامل التي تترك آثار مشوشة على تأصيل العلوم التربوية :

١ ــ تخرج عدد كبير من رجالات التربية من الجامعات الأجنبية : ذلك أن معظم هؤلاء درسوا في الخارج ، ولا شك في أن الجامعات في كل من البلاد الغربية والاشتراكية تحاول أن تفرض نمطها الفكري على من يلتحقون للدراسة بها . ويتضح هذا التأثر من البحوث والكتابات التربوية التي صدرت في العالم العربي والتي تزدحم صفحاتها بالمفاهيم غير الاسلامية .

وقد نتج عن هذه القضية قضية أخرى ذات أهمية بالغة وهي أن المعلمين في البلاد الاسلامية أصبحوا يعتبرون التعليم مجرد مهنة مع أنه رسالة . ويؤكد العالم المسلم أبو الحسن الندوي هذه الحقيقة عندما يقول :

« ... فالذين عرفوا في الماضي بروح التقوى والاخلاص لله أنتجوا الأكابر من العلماء والمتبحرين وباعثي العقيدة في القرون الأولى . ولقد كرس هؤلاء حياتهم لخدمة العلم والاصلاح الديني ولا يرجون بذلك جزاء ماديا ... أمّا خريجو الجامعات والتعليم العالي في زماننا فإنهم ينحرفون مع التيار المادي ويعانون من مرض شائع نسميه المهنية »[1] .

ويضيف الدكتور محمد فاضل الجمالي مظهرا مرضيا آخر لدى المتأثرين بالتربية الغربية هو حب اللقب العلمي وتقديمه ثمن حيث الأهمية على الضبط والعمل الشاق[2] . وهذا قد يعني الحصول على الدرجة العلمية على حساب الحقيقة أو المثل العليا التي ترتبط بالعقيدة .

---

(١) التربية والمجتمع في المملكة العربية السعودية ، بحث نشر في محمد وصي الله حان : **التربية والمجتمع في العالم الاسلامي** ، ص ١٤٠ ــ ١٤١ .

(٢) **نحو توجيد الفكر التربوي في العالم الاسلامي** ، ص ٢٤٨ .

وحيث أن الرسائل العلمية التي يكتبها الدارسون في الجامعات الغربية متداولة بين طلبة العلم فإنها ولا شك تؤثر في المناخ التربوي السائد .

٢ ــ ظهور مؤلفات تحمل عناوين إسلامية مع أنها في الواقع حرب على كل تصور إسلامي . ومن الأمثلة على ذلك فرض النظرية الديالكتيكية على الفكر الاسلامي وعلى التربية الاسلامية . ويتحدث كاتب تربوي في أحد مؤلفاته عن النماذج الأصيلة في التراث الاسلامي ذات المضامين التربوية الهامة ، ومن بين تلك النماذج ما يطلق عليه « جدلية أو ديالكتيك الظواهر الاجتماعية » . ومن الأدلة التي ساقها لاثبات وجهة نظره القصة التالية :

مرّ والي البصرة أيام خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه على نهر يشطر البصرة إلى شطرين . فذكر في حضرة أحد المرافقين ما يعود على أهل البصرة من فوائد من هذا النهر ، فوافقه المستمع على ذلك . ثم تغير الوالي وعين والٍ جديد . وحدث أن ذكر هذا الاضرار التي يلحقها ذات النهر بمدينة البصرة أمام من تحدث معه الوالي السابق ، فأيد الشخص ما قاله الوالي الجديد . ومن هذه القصة يستخلص الكاتب ما يلي :

« تلك ظاهرة اجتماعية مألوفة كثيرة الوقوع يجتمع فيها الشيء ونقيضه ويستوي فيها المدح

والقدح . وهي — بنظرنا — ظاهرة اجتماعية طبيعية وموضوعية ولا تنطوي دائما وحتما أو بالضرورة على التذبذب والمواربة كما قد تبدو في الظاهر لأول مرة . ونهر أم عبد الله المار ذكره يحمل الصفتين المتناقضتين »[1] .

والحقيقة التي لا يتمارى فيها عاقلان أن القصة تدل على التزلف والنفاق وليس بها مدلول غير ذلك . والذي يتضح أن صاحب هذا الاقتباس لا يدرك حقيقة الفلسفة الجدلية أو يروج لها ، إذ يرى هيجل صاحب الجدلية الفكرية أن كل فكرة تحمل فكرة مضادة لها ، ومن صراع الفكرتين تتولد فكرة جديدة . وقد أخذ ماركس عن هيجل فكرة الصراع أو الجدل بعد أن استبدل الفكرة بالمادة . ويقول ماركس أن العوامل المادية تحمل معها عوامل مضادة لها ومن تصارع العامل ونقيضه يأتي عامل جديد . ويلاحظ أن الكاتب يتبنى الفكر الديالكتيكي الذي يؤمن بالصراع . ولو كان ما يقوله هذا الكاتب صحيحا لما تناقض الخير والشر . ومع أن الاسلام يؤمن بوجود صراع بين عوامل الشر إلا أنه يؤمن في الوقت ذاته

(١) جعفر نوري : آراء ومواقف تربوية ونفسية في التراث العربي الاسلامي . ص ٨١ .

بأن الخير يظل خيرا والشر يظل شرا . وأنه لمن الهراء أن يلبس الاسلام الثوب الجدلي الماركسي . فالفكر الاسلامي ليس بالجدلي ولا بالرأسمالي فهو لا شرقي ولا غربي . وعلى الطالب المسلم الحذر من الكتابات المضللة التي تحاول التسلسل إلى عقيدته مستترة وراء عناوين إسلامية .

٣ — الاكثار من الترجمة والنقل عن المؤلفات التربوية الغربية : من النتائج الأخرى التي ترتبت على ابتعاث الطلاب المسلمين إلى الغرب ترجمة المؤلفات الغربية ونقل الأفكار التي تحملها تلك المؤلفات إلى الطالب المسلم إما من خلال الترجمة أو التأليف الذي لا يفترق كثيرا عن الترجمة الحرفية . وقد يقال أن الترجمة عامل قوة لا عامل ضعف لأنها تيسر للأمة الاطلاع على الفكر التربوي عند غيرها من الأمم وأن المسلمين الأوائل قاموا بالترجمة عن اللغات المختلفة وأن تلك الترجمة كانت سببا من أسباب تقدمهم العلمي .

إن أية أمة في العصر الحالي لا تستطيع أن تنعزل عن غيرها من الأمم حتى ولو أرادت ذلك ، ومعرفة الأمة الاسلامية لأعدائها أمر حيوي لا يستغنى عنه لأنها تحتاج على الأقل إلى أن تأمن فكرهم . لكن القضية التي ينبغي التأكيد عليها هو أن أيّ انفتاح على الأمم الأخرى يجب أن يسبقه إدراك كامل للعقيدة التي تؤمن بها الأمة . فحاجتنا

إلى الاطلاع على تربية غيرنا لا يجوز أن تتقدم على معرفة مبادئنا التربوية أو أن تكون على حساب الأصالة التي تجلت في العصور الاسلامية الأولى . والطالب المسلم مطالب بمعرفة الفكر التربوي في مدرسة المصطفى عليه السلام وعند الغزالي وابن تيمية وابن القيم والمودودي قبل معرفة الفكر التربوي عن روسو وفروبل وديوي . وإنني أعتقد جازما أن مشكلة التربية في العالم الاسلامي لا تكمن في الانعزال عن الأمم الأخرى والحاجة إلى ترجمة الفكر التربوي عند الآخرين بقدر ما تكمن في جهل حقائق التربية الاسلامية في عصور الاسلام المختلفة والانغماس في التربيات الوضعية حتى الأذنين . من هنا يمكن القول أن الحاجة إلى الترجمة يجب أن لا تنسي المربي المسلم ضرورة الرجوع إلى المصادر الأساسية للتربية الاسلامية وتقويم المؤلفات المترجمة . فنقل الفكر دون نقد وتقويم يضر أكثر مما ينفع لأنه يجعل الناقل ظلا لمن ينقل عنه وأسيرا لأفكاره وتصوراته بل ربما يصبح معتنقا لوساوسه ومعتقداته .

٤ ـــ تراجع علم الرجال : من أبرز إسهامات الحضارة الاسلامية وضع ضوابط محددة ومعايير يحكم من خلالها على مدى ما يتمتع به الأشخاص من تقوى وأمانة علمية . والتربية الاسلامية أولى من غيرها بالاهتمام بهذا

الأمر لأنها تقرن العلم بالعمل . فالآراء التربوية لمفكر معين لا تدرك إدراكا صحيحا إلّا في إطار الممارسات العملية التي يقوم بها . ويبدو أن طغيان الحضارة الغربية أدى إلى تناسي المسلمين لأهمية دراسة وتقويم الشخصيات التربوية التي تُقْتَبَسُ آراؤها وخاصة في الميدان التربوي . فمن الأهمية بمكان دراسة شخصية فرويد وخلفيته اليهودية قبل دراسة نظريته في التحليل النفسي والترويج لها ؛ لأن التاريخ الشخصي للفرد والعقيدة التي يعتنقها تؤثر فيما يصدر عنه من آراء . ومن الأمثلة الواضحة على قلة العناية بدراسة من نأخذ عنهم أن أحد الكتّاب الاسلاميين دعا في مقالة له نشرت في إحدى الصحف واسعة الانتشار إلى ضرورة تبني التربية فكر أحد الفلاسفة المعاصرين ونشرها بين الناس . ويصاب المرء بالذهول عندما يقرأ لهذا الفيلسوف الوضعي دعوى صريحة لرفض نص صريح جاء به القرآن الكريم إذ يرى هذا الفيلسوف الوضعي أن العصر الحالي عصر ظهرت فيه الطبيبة والمهندسة ، فلا مكان فيه لمثنى وثلاث ورباع[1] . وإنني أعتقد جازما أن من أولى واجبات التربية أن تنبه إلى خطورة آراء هذا الفيلسوف الوضعي وأمثاله وأن تحصن الدارسين ضد مرض الوضعية .

(١) زكي نجيب محمود : تجديد الفكر العربي ، ص ٧٩ .

إن هذه العقبات وغيرها تعترض سبيل تأصيل العلوم التربوية ، لكنها لا تُفتُّ من عضد المربي المسلم الذي يتخذ الرسول الكريم ﷺ مثاله الذي يحتذي به . فالعقبات التي اعترضت الدعوة الاسلامية حفزت المصطفى عليه السلام إلى مزيد من الجهد والعناء . وعلى العاملين في الكليات التربوية في البلاد الاسلامية أن يدركوا أن تأصيل العلوم التربوية لا يتم بمجرد إدخال بعض المقررات التي تحمل اسم « التربية الاسلامية » بل يجب أن ينبثق كل علم منها عن التصور الاسلامي الصحيح . ولابد لجميع المربين في الكليات التربوية من تجاوز « المهنية » واعتبار ما يقومون به رسالة يسألون عنها يوم القيامة والعودة بالتعليم إلى صورته الأولى . فأهل العلم تقترن شهادتهم في القرآن الكريم بشهادة الله سبحانه وتعالى وملائكته . وحيث أن طبيعة عمل الكليات التربوية يتداخل مع معظم الكليات الأخرى في الجامعات فإن على التربويين توثيق الصلات مع زملائهم في الكليات الأخرى . فكلية التربية التي تسهم في إعداد طلاب كلية الشريعة والعلوم بحاجة ماسة إلى تعاون تلك الكليات . وحيث أن المبادىء الاسلامية للتربية تستمد من الكتاب والسنة فإن التعاون بين كليات التربية وكليات الشريعة والدعوة أكثر إلحاحا . ومثلما أن الكليات التربوية الغربية ترحب بإسهامات فلاسفة التربية فإن كليات التربية في العالم الاسلامي مطالبة بإقامة جسور متينة مع كليات الشريعة والدعوة لأنّ هذا التعاون

يعود بالخير على الجميع ويسهم إسهاما إيجابيا في أسلمة العلوم التربوية . كذلك فإن الحاجة تدعو إلى رصد اتجاهات التربويين وتقويمها على ضوء المبادىء الاسلامية كي يكون الدارس المسلم على بينة من أمره عند الرجوع إلى مؤلفاتهم .

١٣ ــ الخاتمـــة

الكليات والمعاهد التربوية ذات أهمية بالغة لأنها تسهم في تشكيل شخصية المعلمين في مختلف المراحل التعليمية . والعلوم التربوية التي تدرس في هذه المعاهد والكليات ترتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة التي يؤمن بها أفراد المجتمع . فالعلوم التربوية في المجتمع الماركسي تعكس الفلسفة المادية الجدلية ، وهي تعكس في المجتمعات الغربية الديمقراطية مبدأ النفعية ولا تُعْنى إلا بالجانب المادي من الانسان . وهذه الحقيقة تقتضي أن تكون المواد التربوية في سائر المجتمعات الاسلامية منبثقة في أهدافها ومناهجها ومحتواها وطرائق التقويم عن العقيدة الاسلامية . وما دام الاسلام يزود الانسان المسلم بتوجيهات محددة في كل عمل يقوم به فإنه ولا شك يمدنا بتوجيهات لسائر فروع المعرفة ومن ضمنها العلوم التربوية . وقد كرس هذا البحث لتوضيح هذه الحقيقة . فإن وفقت في تحقيق هذا الهدف فالفضل يعود لله وحده وإن قصرت فمن عند نفسي . وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

١٤ ــ قائمة المصـــادر

(أ) . المصادر العربية والمعربة :

١ ــ **القرآن الكريم** .

٢ ــ أحمد شلبي .

التربية الاسلامية : نظمها ــ فلسفتها ــ تاريخها . ط ٦ . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٨ م . ٤٤٢ ص .

٣ ــ إسماعيل راجي الفاروقي .

العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الاسلامية / إعداد إسماعيل راجي الفاروقي وعبد الله عمر نصيف ، جدة : شركة عكاظ وجامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م ، ٢٥٠ ص .

٤ ــ إلياس بايونس .

« علم الاجتماع والواقع الاجتماعي المسلم » في الفاروقي : **العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الاسلامية** ، ص ٤١ ــ ٦٤ .

٥ ــ أوتاواي ، أ . ك .

التربية والمجتمع / تعريب وهيب سمعان وعدلي كامل

ورشدي لبيب وعماد الدين سلطان . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ م ، ١٨٨ ص .

٦ ــ البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل .
صحيح البخاري . بيروت : دار الفكر ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م ، ٨ ج .

٧ ــ بشير حاتم التوم .
تأصيل تربية المعلم . مكة المكرمة : د. ن ، ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م ، ٥٠ ص .

٨ ــ جعفر نوري .
آراء ومواقف تربوية ونفسية صائبة في التراث العربي الاسلامي ، بغداد : دار الرشيد ، ١٩٨٢ م ، ٩٦ ص .

٩ ــ ابن جماعة ، بدر الدين ابن أبي اسحق إبراهيم الكناني .
تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم . دار الكتب العلمية ، ١٣٥٤ هـ ، ٢٣٦ ص .

١٠ــ حسن صعب .
الانسان العربي وتحدي الثورة العلمية التكنولوجية . ط ٢ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨١ م ، ٣٠٨ ص .

١١ــ روزنتال ، فرانتز .
مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي .
ط ١/ تعريب أنيس فريحة ، ومراجعة وليد عرفات .
بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦١ م ، ٢٣٠ ص .

١٢ــ زكي نجيب محمود .
تجديد الفكر العربي . ط ٥ . بيروت : دار الشروق ، ١٣٩٨ هـ ، ٣٨٦ ص .

١٣ــ الطبري : أبو جعفر بن جرير .
تفسير الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن / حققه وعلق حواشيه محمد محمود شاكر ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٨ م ، (١٣) جزءا .

١٤ــ عبد الحليم عويس .
لا نزاع بين الدين والعلم في المنهج والموضوع
بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م ، ٤٧ ص .

١٥ــ عبد الحميد الهاشمي .
« صبغ علم النفس بالصبغة الاسلامية » في إسماعيل الفاروقي : **العلوم الطبيعية والاجتماعية من وجهة النظر الاسلامية . ص ٧٩ ــ ١٠٤** .

١٦ــ عدنان النحوي .
ملامح الشورى في الدعوة الاسلامية . الدمام : دار الاصلاح ، ١٤٠٠ هـ ، ٦٥٢ ص .

١٧ــ الغزالي ، أبو حامد .
إحياء علوم الدين . القاهرة : دار الشعب . د. ت ، ١٦ ج .

١٨ــ فاخر عاقل .
التربية : قديمها وحديثها . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٤ م ، ٤٩٥ ص .

١٩ــ فؤاد أبو حطب .
التوجيه الاسلامي لعلم النفس ــ بحث قدم إلى ندوة علم النفس والاسلام التي عقدت في كلية التربية ــ جامعة الرياض (الملك سعود حاليا) ما بين ١٢ ــ ١٦ ذو القعدة ١٣٩٨ هـ الموافق ١٤ ــ ١٨ تشرين أول ١٩٧٨ م ، ٣٠ ص .

٢٠ــ فينكس ، فيلب .
فلسفة التربية / تعريب محمد لبيب النجيحي ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٥ م ، ٩٠٤ ص .

٢١ــ كاريل ، اليكس .
الانسان : ذلك المجهول / تعريب شفيق أسعد فريد ، بيروت : مكتبة المعارف ، ١٩٧٤ م ، ٣٥٩ ص .

٢٢ــ محمد جواد رضا .
التربية والتبدل الاجتماعي في الكويت والخليج العربي . الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٥ م ، ٢٤٧ ص .

٢٣ــ محمد عيسى فهيم .
إعداد أعضاء هيئة التدريس في الخارج ومشكلات المعرفة والتعليم في الغرب ، مكة المكرمة : مركز البحوث التربوية والنفسية بكلية التربية ، ١٤٠٢ هـ = ١٩٨٢ م ، ٣٩ ص .

٢٤ــ محمد فاضل الجمالي .
نحو تربية مؤمنة . تونس : الشركة التونسية للتوزيع ، ١٩٧٧ م ، ١٦٠ ص .

٢٥ــ محمد فاضل الجمالي .
نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الاسلامي . تونس : الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٢ م ، ٣٢٣ ص .

٢٦ــ محمد ناصـــر .
الفكر التربوي العربي الاسلامي / إعداد محمد ناصر ، الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٧٧ م ، ٤٨٥ ص .

٢٧ــ محمد وصي الله خان .
التربية والمجتمع في العالم الاسلامي / إعداد محمد وصي الله خان ، جدة : عكاظ وجامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م ، ١٩٧ ص .

٢٨ــ محمود السيد سلطان .
مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٩ م ، ٢٣١ ص .

٢٩ــ المودودي ، أبو الأعلى .
المصطلحات الأربعة في القرآن . ط ٦/ تعريب كاظم سباق ، الكويت : دار العلم ، ١٣٩٧ هـ = ١٩٧٧ م ، ١٣٨ ص .

٣٠ــ ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم .
لسان العرب . بيروت : دار صادر ودار بيروت ، ١٣٨٨ هـ ، (١٥) جزءا .

٣١ــ الندوي ، أبو الحسن علي .
« التربية والمجتمع في المملكة العربية السعودية » ، نشر في : محمد وصي الله خان : **التربية والمجتمع في العالم الاسلامي** . ص ١٣١ ــ ١٤٦ .

٣٢ــ يوسف القرضاوي .
الرسول والعلم ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م ، ١٦٥ ص .

٣٣ــ يوسف كمال محمد .
مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام . القاهرة : المختار الاسلامي ، ١٩٧٤ م ، ٢٥١ ص .

(ب) ــ المصادر الأجنبية :

34 — Argyle, M.
The Social Psycology of Religion/ by A. Argyle and B. Beit-Hallahmi. London: Routledge and Kegan Paul, 1975. - 246 P.

35 — Bown, J. and P. R. Hobson.
Theories of Education. Hong Kong: Tohn Wiley and Sons, 1982. - 448 P.

36 — Conant, J.
The Education of the American Teachers. New York: McGraw-Hill Book Company, 1964. - 319P.

37 — Dewey, J.
Deomcrary and Education. New York: The Free Press, 1944. - 378 P.

38 — Morris, B.
"The Contribution of Psychology to the Stydy of Education". Tibble: **The Study of Education,** pp, 133-178.

39 — Morrish, I.
TheSociology of Education: An introduction. London: George Allen and Unwin, 1978. - 308 P.

40 — Power, E. J.
Main Currents in the History of Education. 2nd edition. New York: McGraw-Hill Book Company, 1970. - 628 P.

41 — Russell, B.
The Wisdom of the West. Macdonald, 1959. - 320 P.

42 — Stableford, B. M.
The Mysteries of Modern Science. London: Routledge and Kegam Paul, 1977. - 270 P.

43 — Tibble, J. W. (editor)
The study of Education. London: Routledge and Kegam Paul, 1966. - 239 P.